دراسات الأدب المعاصر، السنة السابعة، شتاء ۱۳۹۴، العدد الثامن والعشرون: صص۹۱- ۱۰۸

دراسة أسلوبية فی سورة القدر وفق نظرية دسوسور

فاطمه بختیاری*

بتول مشکین‌فام**

تاریخ الوصول: ۹۴/۲/۲۴

تاریخ القبول: ۹۴/۵/۹

الملخص

یتناول هذا البحث دراسة «سورة قدر» وفق المنهج الأسلوبی ودراسة مواطن الجمال الفنی الکامنة وراءها، وأخص بالذکر هنا الدراسة الاسلوبية المتعلقة بالمستويات الدلالية والصوتية والترکيبية وسيلة فی التحليل النص الأدبی، والکشف عن بنيته العميقة ذروة سنامه الوصول إلی دراسة تطبيقية للسورة من وجهة النظر دی سوسر و أثرها فی نفس المتلقی. المستوی الصوتی فقد ساهم مساهمة فعالة فی إيضاح المعنی من خلال جرس الحروف والفاصلة القرآنية، والموازنات الصوتية. أمّا لدلالات اللغوية فی سورة القدر فلها دور واضح فی توصيل المعنی،کما نجد للدلالة الترکيبية الأثر الواضح فی إيراد المعنی. والجمل الإسمية فی هذه السورة مکتنزة بالدلالات التی تصب لخدمة مکانة ليلة القدر.

الکلمات الدليلية: سورة القدر، الاسلوبية ومستوياتها الترکيبية، الصوتية، الدلالية.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

* طالبة الدکتوراه فی فرع اللغة العربية فی جامعة الزهراء(س)، تهران.

** أستاذة مشارکة فی جامعة الزهراء(س)، تهران.

الکاتبةالمسؤولة: فاطمه بختیاری

المقدمة

هناک بعض تشکیلات اللغوية القرآنية تسهم فی تقديم معرفة جديدة للباحثين فی جوانب اللغوية والاسلوبية وبعض جوانب الإعجاز للقرآن. يعود السبب لإختيار الاسلوبية والاستعانة بها لما لها من مزايا تتعلق باستنتاج الدلالة المبنی علی التکرار الظواهر اللغوية، ومزايا أخری تتعلق بسبر اغوار لغة النص وعدم الوقوف علی ظاهرها؛ ونظرا لأن سورة القدر لم تقع عليها دراسة أسلوبية مستقلة جاءت هذه الدراسة لتحاول الکشف عن الأسرار البلاغية القرآنية من خلال دراسة هذه السورة دراسة أسلوبية بمستوياتها الصوتية، الترکيبية والدلالية من خلال السؤال التالية: هل يوجد فی سوره القدر أنماط أسلوبية تختص بها، إذ يبدو للسورة مظهر خاص يميزها عن غيرها؟

أهداف الدراسة

إنّ الدراسة الأسلوبية استکشاف ما فيه من جوانب جمالية، وذلک بما تتيح للدارس من قدرة علی التعامل مع الإستخدامات اللغوية، ودلالاتها فی العمل الأدبی، وبهذا التفاعل مع الخواص الأسلوبية المميزة المکتشفة بطريقة علمية سليمة تتضح مميزات النص وخواصه الفنية(عودة، ١٩٩۴ م: ١٠٠).

ومن هنا يأتی اختيارنا للمنهج الأسلوبی وسيلة نستطيع من خلالها النفاذ إلی عمق النص القرآنی، بما يحمله هذا المنهج من إمکانيات دراسية تحليلية عميقة، ورصد جماليات النص.

تسعی هذه الدراسة إلی محاولة إدراک الخصائص الفنية للغة القرآن من خلال سورة القدر ورصد الظواهر اللغوية والاسلوبية للسورة، ودراسة بعض المظاهر الاسلوبية دراسة تطبيقية لاستجلاء ابعادها والکشف عن قيمها البلاغية والتعبيرية وجملة الأمر أن هذه الممارسة الاسلوبية تسعی إلی توضيح طرائق التعبير فی السورة.

أهميه الدراسة

إن أهمية الدراسه تکمن فی حاجه المکتبة اللغوية إلی مثل هذا اللون من ألوان الدراسة ليعين الدارسين والقراء، للتعرف علی الإعجاز اللغوی فی القرآن الکريم والإطلاع عليها فی

دراسات مختصة بعينها. أمّا بالنسبة للكتب مؤلفة فی هـذا المضـمار قـد ظهـر لعـدد مـن الدراسين اللغويين بحوث فی هذا الميدان الذی مايزال جديـداً فـی اللغـة العربيـة، فـألف بعض الأساتذة دراسات قصروها على الأسلوب وعلـم الأسـلوب نظـراً وتطبيقـا مـن ذلـک: «الأسلوب والأسلوبية» تأليف *عبد السلام المسدی* (۱۹۷۷م)، «البلاغة والأسـلوب» تـأليف *محمد عبدالمطلب*، «علم الأسلوب: مبادئه وإجراءاته» *للدكتور صلاح فضـل* والـذی يعـين الباحث على مباحث نظرية فی هذا المضمار.

خلفية البحث

أما بالنسبة إلى الدراسات السـابقة لهـذا الموضـوع فهنـاک دراسـات أسـلوبية ولغويـة مختلفة فی بعض السور منها: «دراسة أسلوبية فی سورة الكهـف» للباحـث *مـروان محمـد عبد سعيد عبدالرحمن* (۲۰۰۶م)، «ظـواهر اسـلوبية وفنيـة فـی سـورة النحـل» *لأسـامة عبدالمالک ابراهيم عثمان* (۲۰۰۱م)، «دراسة اسلوبية فی سورة مـريم»، «سـورة الواقعـة؛ دراسة اسلوبية» إعداد *بلال سامی إحمود الفقهاء* و«دراسة أسلوبية فی سـوره ص» إعـداد *نصرالله شاملی* و«التقنيات البنيوية فی سورة القـدر» إعـداد *ثـائر سـمير حسـن الشـمری الدجيلی*؛ وفی هذه الدراسات بحثوا عن سـور المختلفـة ماعـدا مقالـة التقنيـات البنيويـة والباحث يتحدث عن البنيوية فيهـا. لـذلک هـذا البحـث يسـعى الكشـف عـن خصـائص الأسلوبية فی سورة القدر على أساس نظر *دی سوسور*.

الأسلوب والأسلوبية

يكثر تردد مصطلح الأسلوب"Style Ly " والأسلوبية" styli stie " فی الدراسات الأدبية واللغوية الحديثة، وبشكل خاص فی علوم النقد الأدبی والبلاغه وعلـم اللغـة. يعـود الفضـل إلى جاكوبسون والشكلانيين الروس معه فی وضع الأسلوبية عنـد نقطـه التقـاء اللسـانيات بالنصوص الأدبيـة، أی فـی مركـز تقـاطع مجموعـة مـن المفـاهيم والمنـاهج المتطـورة ومجموعة من الإنتاجات محددة من حيث الشكل والمضمون والأثر علـى الملتقـی. ومنـذ اللحظة التی عرفت فيها اعمال *جاكوبسون* والشكلانيين الروس أصـبحت الأسـلوبية علمـا منهجيـا يقـوم علـى مبـدأ البنيويـة وهـی لـم تتـرک هـذا المبـدأ حتـی أيامنـا

هذه(مونينيه،٢٠٠٦م: ١٣). فيما بين ١٩٦٨ و١٩٧٥م ظـن نقـاد الأدب أن الاسـلوبية قـد زالت من الوجود. لكنّها كانت حاضرة فی بعض الدراسات الأدبية. ثم شهدت تحولاً جـذريا مع انتشار الدراسات اللسانية وما تبع من هيمنة المنهجيات البنيوية فـی ميـادين العلـوم الانسانية(نفس المصدر: ٧).

يعد رائد منهجية جديدة فی دراسة الأسلوب الأدبی فی العصر الحديث *جورج مونينيـه* وهی منهجية تجمع بين التحليل الأدبی والفكر اللغوی - اللسـانی والمفـاهيم البرغماتيـة والفلسفية وغيرها من النظريات الحديثة التی شهدتها الساحة الفكرية والنقديـة فـی هـذا القرن(نفس المصدر: ٢٧).

يعترف كثير من الباحثين بأن هذه الكلمة لا يمكن أن تعـرف بكيفيتـه مُرضـية، وقـد يكون ذلک راجعاً إلی مدی رحابة الميادين التی صارت هذه الكلمة تطلق عليها إذ أصـبح يطلق إسم "علم الأسلوب" علی أنواع شتی من الدراسات ولعل الأمر المشترک بينهـا هـو أنها تعنی بشكل من أشكال التحليل اللغوی لبنية النص؛ فالتعريف قائل «بأن الأسلوب هو أية طريقة خاصة لإستعمال اللغة بحث تكون هذه الطريقة صفة مميزة للكاتب أو مدرسـة أو فترة زمنية أو جنس أدبی ما» يبدو تعريفاً استحسـنه وقبلـه الكثيـرون وإن عبـر عـن مضمونه بألفاظ مختلفة فی المقابل ذلک يمكن تعريف الأسلوبية بأنها فرع من اللسـانيات الحديثة مخصص للتحليلات التفصيلية للأساليب الأدبية أو الإختيارات اللغوية التـی يقـوم بها المتحدثون والكتّاب فی السياقات غير الأدبية(ابو العدوس، ١٩٩٩م: ١٦١).

وعلی هذا الأساس يمكن القول بأن الاسـلوبية هـی طريقـة خاصـة يقـوم بهـا الكاتـب بواسطة ما يدور فی ذهنه وبواسطتها ينتقل المضـامين والأفكـار إلـی المتلقـی. وإذا كـان النقد الأدبی يبحث فی المعانی والأفكار وفی الخيال والعاطفة فی التجربة الشعرية والصدق الفنی، وكل من هذه الأمور التی تدخل فی "المضمون" فی الـنص الأدبـی ومحتـواه فـإن الشكل "Form" هو الموضوع المناسب للدرس فی علم الأسلوب وعلم اللغة. وتحت الشكل نضع النحو والصرف والألفـاظ والأصـوات اللغويـة وخصـائص الأداء الأخری(عبـدالله جبـر، ١٩٨٨م: ١١)

إتجاهات الأسلوبية

على أن مصطلح الأسلوبية لم يظهر إلا فی بداية القرن العشرين مع ظهور الدراسات اللغوية الحديثة، منها ما قدمته عالم اللغة السويسری *فرديناند دی سوسور* التی ضمت مجموعه من اللغويين الفرنسيين، ورفضت اعتبار اللغة جوهراً ماديا خاضعا لقوانين العالم الطبيعی الثابتة إذ أنها خلق انسانی، ونتاج لروح البشری تتميز بدورها كأداة للتواصل ونظام للرموز المخصصة لنقل الفكر فهی مادة صوتية لكنّها ذات أصل نفسی اجتماعی(صلاح فضل،۱۹۹۲: ۱۰)؛ وتأسيساً على ذلک نشأ إتجاهان فی علم الأسلوب أحدهما يتمثل فی علم أسلوب التعبير ويدرس العلاقة بين الصيغ والفكر فی عمومه وهو الذی ربما كان يقابل بلاغة الأقدمين. الثانی وهو علم الأسلوب الفردی وفی واقع الأمر نقد للأسلوب بدراسة علاقة التعبير بالفرد أو الجماعة التی تبدعه وتستخدمه ومن هنا دراسة توليدية وليست تقيميه، وهو مما يجعل محورها مختلفاً عن محور مدرسة الأولی فعلم أسلوب التعبير لا يخرج عن نطاق اللغة ولا يتعدی وقائعها فی حد ذاتها.

أمّا علم الأسلوب الفردی هو يدرس نفس هذا التعبير فی علاقته بالأشخاص المتحدثين به، الأول يعتد بالأبنية اللغوية ووظائفها داخل النظام اللغوی أی أنه وصفی بحت والثانی يحدد بواعثها وأسبابها أی أنه توليدی، الأول يهتم بالنتائج ويتوقف على علم الدلالة ودراسة المعانی فی ذاتها والثانی يعنی بالمقاصد ويرتبط بالنقد الأدبی(الخفاجی، السعدی فرهود، عبدالعزيز شرف، ۱۹۹۲م:۱۳). يبدو أن الإتجاهين يستخدمان الأسلوبية بمعنی واحد، لأنها يدرسان اللغة من جهة ومن جهة أخری يهتمان بالمقاصد التی يهدف الكاتب أو الشاعر من وراء نتاجه.

مستويات الاسلوبية

تتحدد مستويات التحليل الأسلوبی من خلال التعريف الذی وضعه *دی سوسير* للكلام: «الكلام تطبيق أو استعمال للوسائل والأدوات الصوتية، والتركيبية والمعجمية»، التی يوفرها اللسان فيما يلی:

۱.الصوت(أو الإيقاع): تقع الدراسة الصوتية فی صميم الدراسة النصوص الأدبية، لأن التحليل الصوتی لهذه النصوص - بما فيها من أصوات وإيقاعات - يساعد كثيرا فی فهم

طبيعتها، وفى الكشف عن جوانب الجماليه فيها، بالإضافة إلى ما فيها من كشف للإنفعالات النفسية وللعواطف التى تحكم مبدعها وتدفعه إلى اختيار أصوات وايقاعات بعينها و «ليس يخفى أن مادة الصوت هى مظهر الإنفعال النفسى وأن هذا الإنفعال بطبيعته، إنما هو سبب فى تنويع الصوت بما يخرجه فيه مدّاً أو غنة أو لينا أو شدة»(الرافعى، ١٩٩٧م:١٦٩).

٢.التركيب: وهو عنصر مهم فى بحث الخصائص الأسلوبية كدراسة طول الجملة وقصرها وعناصرها مثل المبتدأ والخبر، الفعل والفاعل، الصفة والموصوف وكذا ترتيبها، ودراسة الروابط مثل الواو، والفاء، وما، والتقديم والتأخير، والتذكير والتأنيث والتصريف.

٣.الدلالة: يهتم علم الدلالة بـ«الجانب المعجمى»، وما تدل عليه الكلمات، مع تتبع لمستجدات المعنى الذى يلحق بتلك الدلالات، أو ما يدفع - بسبب التطور- إلى أن يتبدل ما تشير إليه تلك الكلمات أو سواها. ومن الممكن متابعة الدلالة من خلال النظام اللغوى الذى يتميز بخصائصه النحوية والصرفية، والتى تشكل لهذا النظام بنيته الخاصة به. وعليه فإن الباحث فى الدلالة عليه أن يبحث فى تلك العلاقة التى تربط الدال بمدلوله فى النص من خلال السياق، وبالتالى فهم وتحديد الدلالة السياقية إن كانت دلالة مباشرة أو تحمل دلالات إيحائية أو تأويلية أخرى(الحقل الدلالى).

مفتاح من أكبر النقاد حديثا عن الخطاب الشعرى لكنه يستعمل المصطلح مرادفاً للنص نفسه فمكونات الخطاب الشعرى عنده هى المواد الصوتية، والمعجم، والتراكيب والمقصدية(مفتاح، ١٩٨٢م:١٨)؛ وهى مكونات النص نفسها. إذ تضم المواد الصوتية، جرس الحروف والتنغيم بالنبر والايقاع والوزن والقافية. يضم المعجم معانى الكلمات وايحاءاتها و يعنى التركيب مستوى النص النحوى والبلاغى. أما المقصدية فتعنى الهدف والقصد من العمل. وتحدد كيفية التعبير والغرض المتوخى(نفس المصدر: ٥٢).

يمكن أن نقول فى النهاية فى ميدان الأسلوبية أو علم الأسلوب Stylistics أضافت نظرية *تشومسكى* بعداً جديدا وعميقا إلى الدراسات الأسلوبية. التحليل الأسلوبى من مفهوم خاص للأسلوب وهو أن الشاعر أو الكاتب يستخدم أنواعاً معينة من التحويلات فى لغته وبخاصة التحويلات الاختيارية بحيث تصبح هذه التحويلات مميزاً أسلوبيا عنده، لأن هذا الإختيار دون غيره وإلحاح الكاتب أو الشاعر على استخدامه من بين مجموع الطاقات

التحويلية الكامنة فی النظام اللغوی، إنما هو أصلاً استغلال لطاقات اللغة التی يستخدمها ولكن بتحولات معينة(حلمی خليل، ۱۹۹۵م: ۳۳-۳۵).

تطبيق المستويات الأسلوبية علی سورة قدر

سميت هذه السورة فی المصاحف وكتب التفسير وكتب السنة «سورة القدر» وسماها *ابن عطية* فی تفسيره «سورة ليلة القدر» وهی مكية فی قول الجمهور. كان من أغراضها التنويه بفضل القرآن وعظمته بإسناد إنزاله إلی الله، والردّ علی الذين حجدوا أن يكون القرآن منزلاً من الله تعالی ورفع شأن الوقت الذی أنزل فيه، ونزول الملائكة فی ليلة إنزاله وتفضيل هذه الليلة التی توافق ليلة إنزاله من كل عام(ابن عاشور،۱۹۸۴: ج ۳۰، ۴۵۶).

المستوی الصوتی

لا ينكر عاقل أثر الموسيقا والنغم فی شدّ المتلقی وجعله أكثر إنتباها وأشدّ إصغاء، بل أن موسيقا الشعر هی أجمل ما فيه من عناصر. ويبدو الايقاع الموسيقی واضحاً فی القرآن الكريم، و لكن لهذا الايقاع طريقته الخاصة التی تختلف عن الشعر المقيد بالأوزان والقوافی فهو خاص بالقرآن وحده؛ «إذ هو ايقاع فی نطاق التوازن، لا إيقاع فی نطاق الوزن، فالوزن فی العربية للشعر والتوازن فی الايقاع للنثر والذی فی القرآن ايقاع متوازن لا موزون»(حسان تمام، ۱۹۹۳م:۲۶۹).

إذن يؤدی هذا الايقاع دوراً فاعلا فی تكثيف المعنی وزيادة طاقاته التعبيرية من خلال إنسجامه مع أجواء النصوص ومعانيها حيث يعبّر القرآن عن المعانی بالألفاظ، ويختار من هذه الألفاظ ما كانت أصواتها متناغمة مع معانيها ومجسّدة لها وهكذا يكون «النسق القرآنی قد جمع بين مزايا النثر والشعر جميعاً. فقد أعفی التعبير من قيود القافية الموحدة والتفعيلات التامة، فنال بذلک حريه التعبير الكاملة عن جميع أغراضه العامة. وأخذ فی الوقت ذاته من الشعر الموسيقا الداخلية والفواصل المتقاربة فی الوزن»(سيد قطب، ۱۹۸۳م:۱۰۲).

الموسيقى النابعة من تردد الأصوات

يسهم التكرار فى السورة - سواء أكان تكراراً للحرف أو الكلمة أو التركيب- فى تشكيل الأنغام الحسنة ويزيد من الإيقاع الجميل والمتميز فى آياتها ويكسبها إنسجاماً موسيقيا.

استخدم تكرار التركيب ﴿وماأدراكماليلةالقدر﴾ على خلاف مقتضى الظاهر لأن مقتضى الظاهر بالإضمار سبب ذكر «فى ليله القدر» فى الآية الأولى، إن الله تعالى قد إستفاد من عناصر البلاغى منها الإظهار مقام الإضمار وعكسها بسبب بيان شأن ليلة القدر والتأكيد عليها؛ وإظهار لفظ ليلة القدر ﴿ليلةالقدرخيرمنألفشهر﴾ فى مقام الإضمار للإهتمام؛ وقد تكرر اللفظ ثلاث مرات والمرات الثلات ينتهى عندها التكرير غالباً. فقصد الإهتمام بتعينها فحصل تعظيم ليلة القدر صريحاً وحصلت كناية عن تعظيم ما أنزل فيها وأن الله أختار إنزاله فيها ليتطابق الشرفان(ابن عاشور، ١٩٨٤:ج ٣٠، ٤٥٨ - ٤٥٩).

الموسيقى النابعة من التكرار فى التركيب المذكور - أربع مرات- سواء على اسم الظاهر وسواء على أساس الضمير تدل على عظمة هذه الليلة الكريمة وتلذذ فيها.

الموسيقى النابعة من الفاصلة القرانية فى سورة القدر

تؤدى الفاصلة دوراً مهما فى أحداث التناغم الموسيقى والتلوين الصوتى. إذ تنقسم الفاصلة فى هذه السورة على نسق واحد لتعبر عن المعنى الذى يحمله ذلك النسق. إذا نجد إرتكاز النسق على حرف «الراء» الساكن وتتردد هذه الفاصلة فى كل الآيات. إن حرف الراء من الحروف الذلقية ومتوسط بين الشدة والرخاوة كما يدل على التكرار والترجيع(حسن عباس،١٩٩٨م: ٤٦،٨٣) وجاء الفاصلة القرآنية بهذا الحرف ليدل على التكرار فى القدر أى إنه قدر قدر قدر(بمعنى إن هذه الليلة كلها خير وبركة وشرف).

كان *إبن جنى* من العلماء الذين أشاروا إلى علاقة الأصوات بمعانيها، إذ يقول: «من أسرار الأصوات أن هناک علاقة طبيعية بينها وبين معانيها، ومن ذلک الخاء والقاف ... نحو قولک خضم وقضم إذ أن الخضم أكل الرطب والقضم للصلب اليابس، لرخاوة الخاء وصلابة القاف»(ابن جنى، لا.ت، ج٢: ١٥٨). فى هذه السورة قد تكرر الحروف والأصوات منها أصوات المد، وحروف النون واللام والراء.

فقد ساهمت أصوات حركات الفتحة الطويلة الستة(إنّا، أنزلناه، ما، أدراک، ملائكة، فيها) فی إشاعة جو الآيات جواً موسيقيا عذباً وأشاعت أجواء من العظمة والجلال لهذه الليلة فی السورة. والشیء الذی يجلب النظر هناک كلمة إنّا مجيئها بضمير الجماعة للمتكلم الذی يعود علی الله، حيث يزداد كلمه الله عظمة بسبب صوت نون الجماعة المقترنة بصوت الفتحة الطويلة فی كلمة (إنّا).

وأمّا أصوات النون واللام والراء وقد أطلق القدماء علی هذه الأصوات إسم الأصوات الذلقية، وهی تشترک فی تقارب مخارجها وفی نسبة وضوحها السمعی العالی حيث تعتبر أوضح الأصوات الصامتة فی السمع ويسمّيها البعض أشباه الاصوات الصائتة(عبدالجليل، ۱۹۸۸م: ۱۷۳)؛ لأنها تشبه الحركات فی وضوحها السمعی.

واللام صوت مجهور ذو وضوح سمعی وهی «من حروف مذلقه ... وهی أخف الحروف علی اللسان وأحسنها إنشراحا»(القيسی، لا.ت:۱۱۰-۱۱۱) وتكرار هذا الصوت(۱۹مرة) هو من أسباب ذلک التمييز الموسيقی التی تتصف به سورة القدر. نجد لتردد اللام تسعة عشر مرات فی هذه السورة العذوبة فی النطق والوضوح فی الصوت:

﴿إنّاانزلناهفی ليلة القدر* وماادرئک ماليلة القدر* ليلة القدر خير من ألف شهر* تنزّل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر* سلام هی حتی مطلع الفجر﴾

فقد جعل صوت اللام الذی تردد فی الآية ايقاع الآيه فی غاية انسجام، ونحن نقرأها بكل سلاسة وكل كلمة فيها- تقريباً - ترتبط بما قبلها وبما بعدها برابط من صوت اللام، فی الكلمات: أنزلنا، ليلة، القدر، ألف، تنزل، الملائكة، كل، سلام، مطلع.

وأمّا إن لصوت النون الواضح السمع، أثراً فی حسم الموقف بوضوح وجلاء لصالح الحق الثابت، فقال الله تعالی: ﴿إنّاأنزلناهفی ليلة القدر﴾ فالله هو وحده أنزل القران والكل راجع إليه، وفی هذا التعبير الجزل القوی يتكلم الله- سبحانه- بضمير الجماعة المشعر بالعظمة والكبرياء ليحسم النهاية بهذه السورة التی ليس للبشر فيها لا حول ولا قوة. وقد تكرر هذه الحرف عشر مرات ليزيد علی نغم الموسيقی فيها.

أما صوت الراء تميّز بأنه صوت تكرارى والتكرير صفة قوة و«منها المكرر وهو حرف شديد»(سيبويه، ۱۹۸۸: ۴۳۵)؛ بحيث ساهم تردد صوت الراء فی إفشاء هذا القدر وعظمتها كما نشأ من تكرار صوت الراء، إيقاع منسجم، والإنتقالات سريعة مسلسلة بين

الكلمات، سببها طريقة حدوث هذا الصوت وهذا ما يتذوقه القارئ باستمتاع حين يكرر تلاوة هذه السورة لعدة مرات دون أن يستثقل هذا التكرار أو يتعثر فيه.

المستوى الدلالى

تبدو العلاقة الواضحة بين جانبى الدلالة والصوت، فهما يتكاملان معا ويتطابقان فى السورة؛ فبعض الدلالات تستدعى نوعاً معينا من الأصوات كما أن بعض الأصوات كانت تعبر عن نوع معين من الدلالات، «على أن هناک نوعين من النسيج الصوتى والآخر هو النسيج الدلالى وهما لا يحتاجان عادة إلى التطابق سوى فى الأدب»(صلاح فضل، ١٩٩٢: ٩٣). وتعتبر الكلمات والألفاظ من الأهمية بمكان فى دراسة النصوص، لأنها تمثل الوحدات الصغرى التى يتشكل منها النص.

وللألفاظ فى القرآن الكريم مكانة خاصة، إذ هى تنفرد عن غيرها بدقة متناهية وهى تنسجم مع السياق الذى ترد فيه، بحيث لو إستبدل بكلمة ما كلمة أخرى لاختّل المعنى وانتفض التعبير لذا فإن ألفاظ القرآن تقع «ضمن الأسلوب البيانى الرائع ونعتقد مؤمنين أن كل لفظ فى القرآن له معنى قائم بذاته وفيه إشعاع نورانى يتضافر مع جملته»(ابوزهره، ١٩٧٠م: ١٠٤).

لا يعنى البحث فى المستوى الدلالى إننا سنبحث فى معانى الألفاظ مستقلة عن سياقها الذى وردت فيه، لأن اللفظ فى حد ذاتها لا قيمة لها وإنما تستمد قيمتها من السياق الذى ترد فيه، فهو الذى يمنحها دلالتها المتميزة من خلال موقعها فى النص وعلاقتها ببقية عناصر الجمله. يقدم السياق العون لنا فى تحديد المعانى والدلالات المقصودة.

القدر

يختار القرآن الكريم الكلمة المناسبة للسياق بدقة وعناية فيتجه نتيجة ذلک أن تؤثر فى السامع وتترک واقعاً تحت وقع معناها وظلال دلالتها، و مثال ذلک كلمه "القدر" فى إسم السورة وكذلک استعماله فى آياتها. جاءت هذه السورة وآياتها فى سياق عظمة هذا الليل ونزول القرآن. لذلک القدر الذى عرفت الليلة بالإضافة إليه هو بمعنى الشرف والفضل كما

قال تعالی فی سورة الدخان ﴿إنّاأنزلناهفی ليلة مباركة﴾ أی ليلة القدر والشرف عند الله(ابن عاشور،۱۹۸۴م: ج۳۰: ۴۰۳). ولنتأمل فی التأثير الذی يتركه كلمة «القدر» فی آلاية التی يشعر السامعين بأن هذه الليلة، ليلة عظيمة وليلة شرف وأنها تحفل بالمعنی الشرافة والقدر. وتدل كلمة القدر علی التكرار مفهوم ومعنا. أمّا إذا انتقلنا إلی الوزن الصرفی فإننا سنجده علی وزن فَعْل الذی هو أحد أوزان الصفة المشبهة، ويشير هذا الوزن إلی الصفات الدائمة فی الإنسان وغيره، وهذا يتطابق مع خلود ليلة القدر.

سلام

السلام مصدر أو إسم مصدر معناه السلامة كما قال الله تعالی:

﴿قلنايانار كونی بردا وسلاما﴾(الأنبياء/ ۶۹)

ويطلق السلام علی التحية والمدحة وفسّر السلام بالخير والمعنيان حاصل فی هذه الآية. ففی الكلمة طاقات تعبيرية، إذ نلمس فيها معنی كل خير وسلامة وبركة وكما أنّ لفظ السلامة له علاقة باسم السورة التی تدل علی التقدير، ولأجل ذا يكتب الله تقدير البشر فی هذه الليلة علی أساس السلامة والخير والغفران. فإنّ إختيار لفظ "سلامة" يستحضر فی الذهن كل تلك المعانی الايجابية والمحمودة التی له علاقات بمعناه ويطلق سوسور «علی هذه العلاقات اسم العلاقات الايحائية»(صلاح فضل، ۱۹۹۸م: ۲۷).

فالسلامة تشمل كل خير لأن الخير سلامة من الشر ومن الأذی فيشمل السلام الغفران واجزال الثواب واستجابة الدعاء بخير الدنيا والآخرة. فقال *ابن عاشور*: «جاء سلام منكرا للتعظيم أخبر عن الله بأنها سلام للمبالغة لأنّه إخبار بالمصدر»(۱۹۸۴م، ج۳۰: ۴۱۰).

ألف

ومن الأمثلة التی تدل علی دقة المعانی التی تؤديها ألفاظ السورة كلمة "ألف" فی قوله تعالی: «ليلة القدر خير من ألف شهر» فهو تدلّ علی الكثرة واللانهاية. كما يوجد فی القرآن الكريم أرقام تدل علی الكثرة نحو: ۲،۷،۷۰،۱۰۰۰.

تنزّل وإنزال

إستخدم فعل مضارع تنزّل فی الآية ﴿تنزّل الملائكة والروح فيهابإذن ربّهم من كل أمر﴾ علی زنة تفعّل وهو يدلّ علی التدريج. والفعل هنا يدل علی نزول القرآن تدريجا. وفعل أنزلناه

تدلّ على نزول القرآن دفعة واحدة من باب إفعال. وكل ذلک یدل أن الله أراد أن یشیر إلی نزول القرآن مرتین بصورتین تدریجاً ودفعة.

کل

وهو مستعملة فی معنی الکثرة للأهمیة أی فی أمور کثیرة عظیمة- نحو قوله تعالی- «ولو جاءتهم کل آیة»(ابن عاشور، ١٩٨٤م، ج٣٠: ٤٠٩) ونجد الترابط بین الألفاظ ألف، کل، سلام، من حیث معانیهم ودلالاتهم، لأنّ کلهم جاءت بصورة منکرة لیدل علی العموم والکثرة.

المستوی الترکیبی

التکرار

شکل من أشکال إطناب فی علم المعانی فی البلاغة العربیة وفی النحو العربی یعد التکرار ضرباً من ضروب التوکید اللفظی.

التکرار اللفظی فی إصطلاح علماء البلاغة إعادة الکلمة بلفظها ومعناها فی القول مرتین فصاعدا لنکتة وهو إعادة العنصر المعجمی نفسه بتعبیر علم اللسانیات النصیة. رصد *إبن رشیق* للتکرار اللفظی عدة وظائف منها: «التوکید، زیادة التنبیه، الوعد والوعید، التوجع، الهجاء، والتهکم والتفخیم والتعظیم والتشویق والتلذذ بذکر المکرر والتوبیخ»(ابن رشیق، ١٩٨١م، ج٢: ٧٤-٧٦) وتنبّه علم النفس علی أهمیة الأثر الذی یولده أسلوب التکرار فی متلقیه، کما یقول *الدکتور مصطفی فهمی* فی کتابه«الدوافع النفسیة»: «إنّه متی کثر تکرار امر، تولد تیار فکری وعاطفی یتلوه ذلک المؤثر العظیم فی الأفراد والجماعات هو العدوی، إذ لا یکفی لتحول الإنفعال إلی عاطفة أن یحدث مرة واحدة ولکن لابد لحصول ذلک أن یتکرر حدوثه، فالتکرار هو السبیل الوحیدة لربط الإنفعال به، وترکزه حوله، إلی جانب ما یثیره من إنفعالات أخری تدخل فی ترکیب العاطفة»(مصطفی فهمی، ١٩٦٠م: ١٠١).

تکررت بعض الألفاظ فی هذه السورة وکان لتکرارها أثر فی رسم المعالم البارزه للسورة وتحدید مضامینها ولنتأمل- بدایة- فی اللفظ «لیلة القدر» الذی تکرر فی السورة ثلاث مرات بشکل إسم، ومرة واحدة بشکل الضمیر الذی یعود إلیه. ﴿انّا أنزلناه فی لیلة القدر، وما

أدرئك ماليلة القدر﴾ ثم قال ﴿ليلة القدر خير من ألف شهر﴾ فصرّح به وكان حقه الكناية رفعا لمنزلتها، فإن الإسم قد يذكر بالتصريح فی موضع الكناية تعظيما وتخويفا(الكرمانی، لا.ت: ۲۵۲).

تكرر الليلة على صورة الظاهر والمضمر خمس مرات تدل على عظمة هذه الليلة وشرافتها. والله تعالى استطاع أن تستخدم الليلة على شكل الضمير ولكنه فقد صرح باسمها للتلذذ. من أساليب الأخرى للتكرار يكون ذكر خاص بعد عام كما فعل الله تعالى فی الآية: ﴿تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربّهم من كل أمر﴾ تدل لفظ الملائكة بشكل عام وجبرائيل منهم، ثم استفاد الروح وهو إسم خاص لجبرائيل بعده لأنّ الجبرائيل هی من الملائكة.

ومن أمثلة التكرار كلمة القدر، الذی تكرر فی ختام الآيات لكی تدل على أهميه تكراره وتأكيده فی نفوس السامعين لكی تنبّهوا بهذه الليلة ومنزلتها عند الله تعالى. وأشاع تكرارها الإحساس بعظمة الخالق وبقدرته التی ليس لها حد وبإرادته الغلابة وقضائه المبرم الذی لا يرد ولا يدفع.

التعريف والتنكير

يعدا اسلوبا التعريف والتنكير من ظواهر الأسلوبيه فی هذه السورة وهما من الأساليب البلاغية التی تقتضيها أحوال المخاطبين ومقامات الخطاب، و يقصدها المتكلم ليعبر عن معنى يريده وينسجم مع ما فی نفسه من المشاعر والأفكار.

التنكير

أفاد التنكير فی السورة أغراضا بلاغية عديدة دلّ عليها سياق الآيات،كالتعظيم والتكثير والدلالة على العموم. من أمثلة التنكير لفظ «سلام» فی الآية ﴿سلام هی حتى مطلع الفجر﴾ كما أشار سابقا، جاءت منكرة للتعظيم. كما جاء كلمة "أمر" فی ﴿تنزّل الملائكة والروح فيها بإذن ربّهم من كل أمر﴾ منكرة لتدل على خير كثير والشامل. كما قال *ابن عاشور* تنوين فی كلمة "أمر" للتعظيم أی بأنواع الثواب على الإعمال فی تلك الليلة(۱۹۸۴م، ج ۳۰: ۴۰۹).

التعريف

تأتی المعرفة بخلاف النكرة «فهی ما دلّت علی شیء بعینه»(العلوی، ١٩٩٥م: ٢٠٨) والمعارف فی العربیه تنقسم إلی ستة أقسام وهی تختلف بینها من حیث خصوصیة کل منها فی الإستعمال ودواعی الاستخدام فإنّ لکل أداة من أدوات التعریف طمعاً ومذاقا یختلف عن الآخر، والذی یحدد الاختلاف ثقل الکلمة، مکانها وقیمتها عند المخاطب(السلطان، ١٩٩٣م: ٣٧).

التعريف بالإضمار

یعد الإختصار وعدم الحاجة إلی التکرر من فوائد التعریف بالإضمار، حیث تستبدل الضمائر بالکلمات الظاهرة ومن أمثلة ذلک فی السورة، الضمیر "ه" فی قوله تعالی: ﴿إنّا أنزلناه‌فی‌لیلة‌القدر﴾ نفهم من السیاق أن ضمیره یرجع إلی القرآن و فیه إحالة إلی مرجع متصید. کما نری فی سوره هود، آیة ٤٤ یقول الله تعالی: ﴿استوت‌علی‌الجودی﴾ ونفهم من خلال السیاق أنّ الضمیر یرجع إلی الفلک. وکما یقول *الطبرسی*(١٣٥٦ش، ج٥: ١٩٢) الهاء کنایة عن القرآن وإن لم یجر له ذکر لأنه، لا یشتبه الحال فیه «فی لیلة القدر». «وفیه العظمة وإسناد الإنزال إلیه تشریف عظیم للقرآن وفی الإتیان بالضمیر القرآن دون الإسم الظاهر ایماء إلی أنّه حاضر فی أذهان المسلمین لشدة إقبالهم علیه فکون الضمیر دون سبق معاد ایماء إلی شهرته بینهم. ویجوز أن یکون الضمیر عائداً علی المقدار الذی أنزل فی تلک اللیلة وهی الآیات خمس من سوره العلق فان کل جزء من القرآن یسمی قرآنا. وقیل أطلق ضمیر القرآن علی بعضه مجاز بعلاقة البعضیة»(ابن عاشور،١٩٨٤م، ج٣٠: ٤٠٢). ومن أمثله ضمیر "ها " فی قوله تعالی ﴿تنزّل‌الملائکة‌والروح‌فیها‌باذن‌ربّهم‌من کل‌أمر﴾ التی یعود إلی لیلة القدر. فمرجعیة الضمیر حققت التماسک بین جملتین «فالضمائر تحقق التماسک والایجاز»(صبحی ابراهیم الفقی، ٢٠٠٠م، ج١: ١٦٢).

الانتقال بين الضمائر(الالتفات)

یجیء الإلتفات فی الکلام لتحقیق فائدة عامة وفوائد یقتضیها المقام، أمّا الفائدة العامة فتمثّل فی کونه «ایقاظا للسامع عن الغفلة وتطیبا له بنقله من الخطاب إلی آخر، فإنّ السامع ربما ملّ من إسلوب فینقله إلی أسلوب آخر»(العلوی، ١٩٩٥م: ٢٦٦). ورد الإلتفات بالإنتقال من المتکلم فی قول الله تعالی ﴿إنّا‌انزلناه‌فی‌لیلة‌القدر﴾ إلی الخطاب فی قوله ﴿وما

أدرئك ماليلة القدر﴾ مشعراً بالتحول فی أسلوب كلام الله- سبحانه- نحو الرسول لدلالة إلی الرسول ومكانته عند الله تعالی.

التعريف بـ"ال"

تعدد أغراض التعريف ب(ال) حسب نوعها (ال العهدية، ال الجنسية). ومن المعانی التی إفادتها (ال) الجنسية فی القدر تعريف للجنس، ولم يقل فی ليله قدرٍ بالتنكير لأنّه قصد جعل هذا المركب بمنزلة العلم لتلك الليلة كالعلم بالغلبة؛ لأنّ تعريف المضاف إليه باللام مع تعريف المضاف بالإضافة أوغل فی جعل ذلك المركب لقباً لاجتماع تعريفين فيه(ابن عاشور،۱۹۸۶، ج ۳۰: ۴۰۳). كما تدل (ال) فيه علی أنّه شیء معلوم وعظيم. أمّا (ال) العهد الذهنی فمن أمثلته (الملائكة) و(الروح) و(الفجر) وكلّهم معلوم فی الذهن المتلقی والمتكلم.

التعريف بالاضافة

دلت الإضافة علی العديد من المعانی ومنها التعظيم وظهر غرض التعظيم- واضحا- فی قوله تعالی: ﴿إنّاأنزلناهفی ليلة القدر، وماأدرئك ماليلة القدر، ليلة القدر خيرمن ألف شهر﴾ وليلة مضاف إلی القدر تفخيم لشأن هذه الليلة وعظمتها.

التقديم والتأخير

تكمن وراء تقديم الألفاظ وتأخيرها معان بلاغية مهمة ولفتات جمالية بارزة، فباب التقديم والتأخير- كما يقول *الجرجانی*- «كثير الفوائد، جمّ المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية ولايزال يفترّ لک عن بديعة ويفضی بک إلی لطيفة ولاتزال ترى شعراً يروقک مسمعه ويلطف لديک موقعه؛ ثم تنظر فتجد سبب أن راقک ولطف عندک إن قدم فيه سیء وحُول اللفظ عن مكان إلی مكان»(جرجانی، ۱۹۹۸م: ۸۳). مثال ذلک تقديم مسند وهو «سلام» علی مسند إليه لإفادة الإختصاص أی ما هی إلا سلام.

والقصر الإدعائی لعدم الإعتداد بما يحصل فيها لغير الضمير القائمين. «ويجوز أن يراد بالمصدر الأمر والتقدير سلموا سلاما فالمصدر بدل من الفعل، وعدل عن نصبه إلی الرفع لتفيد التمكن مثل قوله تعالی ﴿قالواسلاماقالسلام﴾(الذاريات/۲۵) والمعنی إجعلوا سلاما بينكم أی لا نزاع ولا خصام»(ابن عاشور،۱۹۸۴م، ج ۳۰: ۴۱۰). تقديم خبر «*سلام* هی

حتّى *مطلع الفجر*» تدل على الحصر. وقال *قطرب*: «معناه هى سلام من كل أمر» ويلزم على قول *قطرب* أن يقال فكيف جاز تقديم معمول المصدرى أى هو سلام عليه، وقد عرضنا امتناع جواز تقديم صلة الموصول أو شيء منها عليه، والجواب أنّ سلاما فى الأصل لعمرى مصدر فأمّا هنا فإنّه موضوع إسم الفاعل الذى هو سالمة أو مسلمة فكأنّه قال من كل أمر سالمة أو مسلمة هى سالمة أو سليمة منه»(طبرسى، ١٣٥٦ش، ج٥: ١٩١). ويمكن أن يكون ﴿سلام هى حتّى مطلع الفجر﴾ بمنزلة إحتراس لبيان المضمون من كل أمر لأنّ تنزل الملائكة يكون للخير ويكون للشر لعقاب مكذبى الرسل. قال تعالى: ﴿ماتنزّل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذا منظرين﴾ و جمع بين إنزالهم للخير والشر «فاخبر هنا أن تنزل الملائكة ليلة القدر لتنفيذ أمر الخير المسلمين الذين حاموا رمضان وقاموا اليلة القدر فهذه بشارة»(ابن عاشور،١٩٨٤م، ج ٣٠: ٤٠٩).

الإستفهام

يعد شكلاً من أشكال التنوع فى الأساليب والإنتقال من الخبر إلى الإنشاء كما أنّه يدفع المخاطبين إلى التفكر والتأمل. ورد الاستفهام فى السورة مرة واحدة باسلوب "مآ" ﴿ومآ ادرئك ماليلة القدر﴾ والاستفهام هنا خرج عن معنى الأصلى إلى معنى الثانوية تعظيما لشأن هذه الليلة، وتنبيها لعظم قدرها وشرف محلها و«كأنه قال وما أدراك يا محمّد ما خطر ليلة القدر وما حرمتها وهذا حث على عبادة فيها»(طبرسى، ١٣٥٦ش، ج٥: ١٩٦)؛ ثم تأكد الله تعالى لرفع الإبهام بقوله ﴿ليلة القدر خير من ألف شهر﴾ بواسطة عدم العطف ليبين كمال اتصال فى هاتين الآيتين وهو من موارد التأكيد. قال صاحب «تحرير»: «فلذلك فصلت الجمله لأنها استئناف بيانى أو لأنها كعطف بيان»(ابن عاشور،١٩٨٤م، ج ٣٠: ٤٠٦).

نتيجة البحث

وبعد هذه يمكن أن نلخص أهم ما توصلنا إليه ونجمله بالآتى: للتعبير القرآنى أسلوب فريد يختلف عن الأساليب المعروفة فى إيراد المعنى ومنها المستوى الصوتى؛ فقد ساهم مساهمة فعّالة فى إيضاح المعنى من خلال جرس الحروف والفاصلة القرآنية، والموازنات الصوتية. ساهم المستوى الصوتى فى تحديد دلالات النص القرآنى من خلال معرفة البنية،

وما تحمله من معانٍ مختلفة يحددها أسلوب الخطاب والقرائن الدلالية الأخرى كما وجدنا ذلک فی تكرار حرف الراء والموسيقی النابعة منها. أمّا للدلالات اللغوية فی سورة القدر فلها دور واضح فی توصيل المعنی كما نجد ذلک فی دلالة القدر، ألف، ليل. كما نجد للدلالة التركيبية الأثر الواضح فی إيراد المعنی الذی هزّ النفوس قبل العقول. وهذه أهم النتائج التی توصلت إليها فی هذا البحث المتواضع. وكما نجد الجمل الاسمية فی هذه السورة مكتنزة بالدلالات التی تصب لخدمة مكانة ليلة القدر.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

المصادر و المراجع

القرآن الكريم.

ابن عاشور، محمد الطاهر. ١٩٨٤م، **تفسير التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر.

تمام، حسان. ١٩٩٣م، **البيان فی روائع القرآن**، ط١، القاهرة: عالم الكتب.

جبر، محمد عبدالله. ١٩٨٨م، **الأسلوب والنحو؛ دراسة التطبيقية فی علاقة الخصائص الأسلوبية ببعض الظاهرات النحوية**، ط١، دار الدعوة للطبع والنشر.

الحسن بن رشيق، القيروانی. ١٩٨١م، **العمدة فی محاسن الشعر وآدابه ونقده**، تحقيق محمد محی‌الدين عبدالحميد، بيروت: دار الجيل.

الخفاجی، محمد عبدالمنعم ومحمد السعدی فرهود وعبدالعزيز شرف. ١٩٩٢م، **الأسلوبية والبيان العربی**، ط١، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.

الرافعی، مصطفی صادق. ١٩٩٧م، **إعجاز القرآن وبلاغة البنيوية**، ط١، القاهرة: دار المنار.

السلطان، منير. ١٩٩٣م، **بلاغة الكلمة والجملة والجمل**، ط٢، الإسكندريه: منشاة المعارف.

سيد قطب. ١٩٨٣م، **التصوير الفنی فی القرآن**. ط٨، القاهرة: دار الشروق.

الطبرسی، الفضل بن حسن. ١٣٥٦ش، **مجمع البيان فی التفسير القرآن**، قم: منشورات آيت الله العظمی المرعشی النجفی.

عباس، حسن. ١٩٩٨م، **خصائص الحروف العربية ومعانيها**، دمشق: اتحاد الكتاب العرب.

عبدالجليل، عبدالقادر. ١٩٨٨م، **الأصوات اللغوية**، ط١، دار صفاء للنشر والتوزيع.

فضل، صلاح. ١٩٩٢م، **علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته**، القاهرة: مؤسسة مختار للنشر والتوزيع.

القيسی، أبو محمد مكی بن أبی طالب. لا تا، **الرعاية**، تحقيق أحمد حسن فرحات، دار الكتب العربية.

ليونز، جون. ١٩٩٥م، **نظرية تشومسكی اللغوية**، ترجمة حلمی خليل، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

مفتاح، محمد. ١٩٨٤م، **فی سيمياء الشعر القديم**، دراسة نظرية وتطبيقية، الدار الثقافة- الدار البيضاء.

مونينيه، جورج. ٢٠٠٦م، **الأسلوبية**، ترجمة بسام بركة، ط٢، بيروت: مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

المقالات

ثائر، سمير وحسن الشمری الدجيلی وحسن عبدالهادی. ٢٠١٠م، «**التقنيات البنيوية فی سورة القدر**»، مجلة جامعة بابل، العلوم الانسانية، المجلد ١٨، صص١٢١-١٥٢.

عودة، خليل محمد حسين. ١٩٩٤م، «**المنهج الأسلوبی فی دراسة النص الأدبی**»، مجلة النجاح للأبحاث، نابلس، المجلد ٨، صص ١٠٠-١٢٠.